# حال السوريين في دار هجرتهم

لما وصلنا الى نيويورك ورأينا ما عليه السوريون فيها من اليسر وصلاح الحال رغبنا في كتابة فصول طويلة توقف قراء الجامعة خارج اميركا على احوال اخوانهم فيها وتطلعهم على ما يجهلونه من ارتقائهم . الاّ اننا لما كنا لم نقم بعدُ وقتاً كافياً لاختبار ما نريد الكتابة فيه فقد عهدنا لاحد افاضل المهاجرين ان يكتب لقراء الجامعة خارج اميركا فصلاً اجمالياً في هذا الموضوع وهذا هو الفصل الاجمالي . وفي الجزء التالي سنبدأ سلسلة فصول صغيرة نذكر في كل فصل منها حالة تجارة السوريين وثروتهم وطرق شرائهم وبيعهم وامتداد معاملاتهم واهمية متاجرهم وتاريخ تأسيسهم محالهم التجارية واصحاب الفضل في تأسيسها هذا غير وصف هيئتهم الاجتماعية وامور معاشهم وعلائقهم بعضهم ببعض من جهة وبالاميركان من جهة اخرى . وبذلك تكون الفصول التالية تاريخاً لحالتهم الاجتماعية اليوم التي تسرّ ولا شك اخوانهم خارج هذه البلاد

لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها ولكنّ اخلاق الرجال تضيقُ

لم تضق سوريا باهلها ولا نضب ماؤها القراح ولا افلت شمسها الساطعة ولا تكدّرت سماؤها الصافية الجميلة ولا ثقل نسيمها اللطيف فهي كما كانت منذ القديم ولم تزل الى الان عروس الدنيا مناخاً وهواءً . ولكن اخلاق رجالها ضاقت لاسباب يطول بنا شرحها وربما كان لا يوافق ذكرها هذا المقام . ضاقت اخلاق رجالها اذ قلّت موارد الرزق . ضاقت اخلاق اهلها بعد ما رأوا وسمعوا عما في بلاد الناس من ضخامة العمران وغزارة الثروة وما رأوا حولهم من ضيق الدائرة فطلبوا الفرَج وضربوا في بلاد الله فوطئت اقدامهم كل ارض

على وجه البسيطة حتى قارتي اميركا الشمالية والجنوبية فوجدوا في الاولى ما لم يجدوه في غيرها من البلدان المتمدنة . وجدوا فيها الثروة الطائلة والمقام الشخصي الذي انكرته عليهم بلادهم الاصلية فوطنوا انفسهم على الاقامة فيها

بدأت المهاجرة منذ نيف وخمسة وعشرين عاماً وكانت في بادىء عهدها مقتصرة على افراد طلبوا الرزق من وراء الاسفار فركبوا اخطارها وتجشموا مشاقها وعادوا بالغنائم . فاستلفت نجاحهم ابصار جيرانهم ومعارفهم فحذا هولاء حذو اولئك وعاد الآخرون بما عاد به الاولون فاتسعت دائرة طلاب الرزق من الاسفار وكثر عددهم واخذ بالتضاعف كل عام حتى بلغ الان الجمع العرمرم . فلم تبقَ مدينة ولا قرية من مدن وقرى سوريا ولبنان الا وهاجر من اهليها العدد الاكثر . غير ان المهاجرة التي كان القصد منها في بادىء الامر ازدياد الثروة لم يقتصر نجاحهم فيها على هذا فقط بل زادتهم تمدناً وعلماً وساوتهم بالقوم الذين كانوا سبقوهم شوطاً بعيداً في مضمار الارتقاء الادبي والمادي وبكلمة اخرى ان المهاجرة رقّت القوم مادياً وادبياً فادركوا معنى الحياة من حيث التمتع بجميع الحقوق الادبية والمدنية والسياسية

وفي الخمس والعشرين سنة التي مضت على المهاجرة بلغ من شأن المهاجرين السوريين انهم اقتبسوا عوائد القوم الذين سكنوا بينهم وتخلقوا باخلاقهم الى درجة مدهشة جداً حتى انه ليحسبهم القادم الجديد من اخوانهم انهم غير قومه الذين عرفهم من قبل ونشأ بينهم ويحسبهم الاميركي افراداً من افراده نظراً لانتفاء الكلفة في جميع تصرفاتهم الاجتماعية والتجارية . وليس الفضل في ذلك لذكاء السوري وحدّة ذهنه كما ادعى كثيرٌ من كتابه ولكن الفضل كل الفضل للبلاد التي احتلها وللرجال الذين خالطهم من اهلها . وليس السوري بالمهاجر الوحيد الذي ارتقت احواله وسمت افكاره في اميركا ولكن هناك غيره من جميع شعوب الارض فيما عدا الصيني الذي افرزته صورة وجهه فلم يستطع معها الامتزاج الاجتماعي ببقية الاقوام ووقفت صفرته حاجزاً حصيناً بينه وبين الجنس الابيض . الا انه دون شك قد ترقى في مداركه وان كان ترقيه اقل من ترقي غيره واكتسب من المجاورة معرفة قوة الاتحاد والتضافر ودليلك على ذلك ما قرأناه ونقرأه عن قيام البوكسر على الاجانب في بلاد الصين وعن الاعتصاب لمنع المتاجرة بالبضائع الاميركية يوم سدت في وجوههم ابواب الدخول الى هذه الولايات

ربما يعارضني بعضهم اذا رأوني نفيت نسبة ارتقاء السوري الى ذكائه ولكنني تعوّدت

ان اتحاشى الادعاء الفارغ ولست في كلامي بمنكر نباهة السوري وذكاءه ولكنني اقول ثانية ان الفضل في ترقيه عائد الى البلاد التي احتلها ورجالها الذين خالطهم . لان نفوذها بلغ من العظمة والتأثير انه لا يترك مجالاً للغريب في البقاء على عوائده المستهجنة مهما كانت متأصلة فيه لان الاقتداء من طبيعة الانسان . الا ترى ان الطفل يتبع امه عاملاً عملها والصبي ينتحل عوائد ابيه والرجل يقتفي آثار رفاقه . وتلك سنة في الكون لن تجد لها تبديلاً ويسمونها ( سنة الارتقاء ) وهي ان ينسخ الشيء صالحًا او غير صالح بما هو اصلح منه

ومن ذا الذي ينكر تأثير البلاد على المهاجر وهو غريب حملته باخرة لا يعلم من اسرار بنائها شيئًا سوى انها تشق عباب المياه اخترقت به بحرًا كبيرًا وفي نهاية اسبوع القت مرساتها امام مدينة عظيمة هي نيويورك . فنظر واذا ببنيان تناطح السحاب مشيرة الى قدرة الانسان العظيمة وقطارات ملأى بالخلق تخترق قلب المدينة العظيمة من اقصاها الى اقصاها ومركبات فوق الارض وتحت الارض وملايين من الخلق في ذهاب وايابٍ كل الى عمله وبواخر تُعد بالمئات تملأ من الارزاق وتفرغ واقوام بيض الوجوه ونساء بديعات الجمال يرفلن في البز والحرير ملأوا الشوارع والمباني والقطارات والبواخر . والامن سائد والسلام باسط جناحيه والسعادة ظاهرة بابهى مجدها وسيماء البشر على جميع تلك الوجوه . لا بكاء ولا ضيم ولا خصام ولا جوع ولا عراء ولا ضوضاء غير ما يخرج عن وقع الاقدام واصطدام الحديد بالحديد وفرقعة الدواليب على ارض الشوارع المستوية المرصوفة بالحجارة البيضاء النظيفة او المرصوفة بالحمَر . كل هذا يراه ويشعر به المهاجر لاوّل وهلة وقد ترك وراءه وجوهًا كالحة من الذل وجسومًا ضامرة من الجوع مرتدية اثوابًا رثة من الفقر وشوارع ضيقة عوجاء زادها ضيقًا اوحالها واوساخها واشغالاً تولاها الكساد وجماعات لا يجمع شملها الا المآتم والاعراس ولا تمرّ على اجتماعها ساعة حتى يعلو صياحها ويتنافر رجالها الى الخصام والضرب واقوامًا خاملين يكرهون العمل ولا عمل ليكرهوه . افلا تظنه انه بعد رؤية جميع هذه الامور يقف مبهوتًا متهيبًا لدى خطارة هذا التقدم المدني العظيم . افلا تظنه يرى نفسه حقيرًا بازاء ما حوله وغير صالح ليعدّ نفسه من افراد هذا الشعب الراقي . افلا تراه في ليله وهو على فراشه يجهد فكرته لاكتشاف الطريق المبلغة الى هذا التقدم الذي يراه حوله . وما ظنك به وقد افلت الشمس للمغيب فاستنظر الظلمة الدامسة لتسدل حجابها على هذه المناظر التي صغرت لها نفسه فاذا بالانوار الكهربائية الساطعة نابت عن شمس النهار واذا بالمدينة كانما شمسها لا تغيب فتكون حية في الليل كما في النهار . افلا تخاله حينئذٍ كالمولود

الجديد في عالم جديد يرى ولا يفهم ويسمع ولا يدرك

كل هذا رآه المهاجر السوري في بدء عهد المهاجرة وكل هذا اثر عليه فبدأ يتدرّج في التقدم كما يتدرّج الطفل في الفهم . وكما ان حاجة الطفل الاولى هي القوت كذلك كانت حاجة المهاجر الى المال لسد العوز . فخرج بين الناس يطلب رزقًا . فاجهد فكرته فدلته على الاقتداء فنظر فاذا بيهودي في الشارع يحمل صندوقة مملوءة سلعًا يبيعها فقال في نفسه هذا باب من ابواب الرزق فتبع اليهودي حتى المساء . وفي صبيحة اليوم التالي اذا بصديقنا المهاجر تاجر يحمل مخزنه على ظهره . هكذا كان بدء امر المهاجرين السوريين في الاتجار حتى بلغ عددهم العشرة . فكان انه فُتح اول مخزن سوري لسد عوزهم من سلعهم . ولما تمكنوا من معرفة بعض كلمات من لغة البلاد للتعبير عن افكارهم والانتساب الى البلاد التي اتوا منها وتفرقوا في المدينة تكاثر الطلب على مصنوعات بلادهم لكونها مهبط الوحي فاشار عليهم الناس باقتنائها فاتوا باخشاب الزيتون من بيت لحم وبعض المصنوعات الصدفية الصغيرة ثم استعاضوا عنها ببضائع باريز من صوَر وصلبان ومسابح وكتب للصلاة وهلمَّ جرًّا فراجت بضائعهم هذه رواجًا عظيمًا واقبل الناس على اقتنائها تيمنًا بالارض التي تنسب هذه البضائع اليها

على هذه الطريقة ابتدأ المهاجر السوري في تجارته . وكانت نيويورك مركزه الرئيسي . ثم توغل في البلاد فجعل محطة تجارته الثانية شيكاغو والثالثة سان فرنسيسكو . وفي عام ١٨٩٠ كان في نيويورك اثني عشر مخزنًا سوريًا وفي شيكاغو سبعة وفي سان فرنسيسكو اثنان وكان عدد المهاجرين لا يتجاوز العشرة آلاف . وفي عام ١٨٩٢ فُتحت محلات اخرى في مدن الولايات الغربية وانتشر السوريون في جميع انحاء البلاد من الاتلانتيكي الى الباسيفيكي ومن البحيرة الى الخليج حتى جاء معرض شيكاغو عام ٩٣ فهناك انفتحت عيونهم فادخلوا في تجارتهم اصنافًا كثيرة من مصنوعات سوريا ومنسوجاتها اليدوية ومطرزات اسطنبول وادخلوا ايضًا صنفي السجاد والسيكارات التركية . وكان العدد القليل منهم يتجر بهذه الاصناف بكمية لا تُذكر . ومنذ ذلك الحين اخذت تترقى تجارتهم وتزداد ارباحهم في كل عام زيادة تُذكر ففتحوا المخازن للبيع جملةً في كل مدينة يزيد عدد سكانها عن عشرين الفًا من مدن هذه البلاد العديدة . وكانت قاعدتهم العظمى نيويورك ولم تزل الى اليوم . ثم ظلبت نفوسهم مأكولات وطنهم الاصلي فبدأوا باستجلاب كميات قليلة حتى عام ١٨٩٦ فصار الوارد يتلو الوارد منها حتى ان كثرة المقطوعية اثرت في اسواق سوريا فارتفعت اسعار المحصولات كثيرًا . وكانت فائدة المهاجرة غير محصورة في المهاجرين

وحدهم بل شملت المتخلفين في الوطن القديم ايضاً . وتعلم التاجر السوري من زميله الاميركي طرق التجارة والاستنباط في البضائع الجديدة المستحدثة وللسوريين اصناف عديدة مستحدثة في التجارة الاميركية منها العباءة النسائية ( كيمونا ) والصدرة المطرزة ( شرت ويست ) وهذان الصنفان يباعان في كل مخزن من مخازن الاميركان المهمة على الاطلاق . وللمهاجرين الان البيوت التجارية العديدة في نيويورك وفي غيرها من بلدان الداخلية مما يعد بالالوف ولهم مصرفان في نيويورك ومعامل لكثير من اصناف البضائع القطنية والكتانية والسلع النثرية . ولهم تنسب اول قهوة على طراز شرقي فتحت في نيويورك انهال على صاحبها المال كالسيل الجارف . ولهم مكانة في المالية عظيمة فكثير من بيوتهم التجارية تستطيع استدانة مبالغ طائلة من مصارف نيويورك على امضاوات اصحابها فقط . والذي يقال عنهم في نيويورك يقال عنهم في الداخلية فيما عدا مداخلاتهم في السياسة فهي اعظم في بعض مدن الداخلية منه في نيويورك

ولم ينحصر ترقي المهاجر السوري بالثروة فقط بل تجاوز هذا الارتقاء الى مدنيته وآدابه . فقد كان في اول عهده خاملاً جاهلاً فظ الاخلاق وهو الان نشيط نبيه رقيق الخلق يحادثك عن علم بمواضيع شتى من ادب وسياسة وله حجة وذوق في القاء الكلام . كان يعيش مع رفاقه كل عشرة بغرفة واحدة تعلوها الاقذار وهو الان يعيش في البيوت الواسعة النظيفة مفرداً ويأكل الاطايب مهما بلغ ثمنها . كان يلبس اللباس الرث وهو الان في جديده كل يوم . كان ضيق الخلق يقوم ويقعد للصغائر وهو الان متساهل حتى في الكبائر ولم يكن ترقيه هذا الا من تأثير الزمان والمكان اللذين وُجد فيهما . لانه يعيش بين اقوام لا يستطيع مخالطتهم ما لم يتخلق باخلاقهم . فبائع السلع وبائع الحرير والسجاد والتاجر في مخزنه لا يستطيعون مخالطة الاميركيين والدخول الى بيوتهم وفنادقهم وملاهيهم واجتماعاتهم ما لم يكونوا مثلهم نظافةً وادباً ولطفاً ولباساً ومعرفةً . تعلم السوري حقوقه وواجباته واصبحت محافظته عليهما كليهما بعض صفاته وطبيعته . فهو الان اميركي بكل معنى الكلمة ولذلك هو راقٍ . ومما يجدر بالذكر اكثر مما تقدم ترقي المهاجر السوري بالمعرفة . وهو مدين بهذا للصحافة العربية التي لا يُنكر تأثيرها على المهاجرين . ففي سنة ١٨٩٢ او نحوه صدرت جريدة كوكب اميركا ثم صدرت الايام فالهدى فالعالم فالاصلاح فمرآة الغرب فالدائرة فالصخرة فالمهاجر فالمحيط فالدليل فالمنبر . فتمكنت دعامة الادب بين ظهرانيهم وكانت هذه الجرائد على اختلاف نزعاتها مؤثرة فيهم حتى انك لا تزور بلداً يقطنها السوريون الا

وترى آثار هذه الجرائد بينهم يقتبسون اقوالها ويحتجون بحجتها وكثيرون منهم تعلموا القراءة من مجرد مطالعتهم اياها كما ان كثيرين من التجار تعلموا الكتابة الانكليزية بعامل الحاجة اليها في تجارتهم

اما تقدم السوريين السياسي من حيث التمتع بكل حقوق الاميركي الوطني فقد جاءهم عفواً اذ تجنس منهم بالجنسية الاميركية العدد الكثير والمتجنس جميع الحقوق السياسية التي للوطني المولود في البلاد وله الحق ان يرشح وينتخب لجميع وظائف الحكومة فيما عدا كرسي الرئاسة ونيابتها. غير انهم ما بلغوا وظيفة مهمة بعد وربما بلغوها في المستقبل وما ذلك الا لانصرافهم الى التجارة بكليتهم فلم يتركوا لانفسهم فرصة لدرس السياسة والمداخلة بشؤونها

والخلاصة ان المهاجر السوري ارقى حالاً الان منه قبل مهاجرته . فهو الان فرد من افراد امة عظيمة تقصر عنها كل امم الارض تمدناً وحضارةً وعلماً وادباً وقوةً . وترقيه هذا سيمحو وطنيته الاصلية وجامعته السورية لانه سيندغم في الامة الاميركية اندغاماً يمحو به آثار (الاسيوية) منه فيمحى الاسم السوري في اميركا (شبل ناصيف دموس)

# فلسطين واشهر بلدانها

لحضرة نجيب افندي نصار في طبريا

## السمرة او السامريون

طائفة لم يبقَ منها سوى مائتي شخص

هم فئة قليله لا يزيد عددها عن مائتي شخص وكلهم محصورون في مدينة نابلوس . وقد جاء بهم ملك اشور من بابل وكوث وحماه الى السامرة التي اخذوا اسمهم منها بعد ما سبي اهلها الى بلاده . واليهود يسمونهم كوثيين نسبة الى كوث التي جاء اكثرهم منها . وهم قوم كانوا يعبدون المريخ فلما توطنوا في البلاد وامتلكوا مدنها تمذهبوا بمذهب سكانها وكثروا كثيراً . ومما يُفهم من رواية التوراة وتقارير يوسيفوس انهم كانوا يرغبون في الاتفاق مع اليهود بعد عودتهم من السبي ومشاركتهم في الدين والمعبد وان يصيروا